جار النجوم*

إلى الشاعر عبد العزيز البابطين أوّلِ مُكرِّمٍ للغة القرآن الكريم ورجالها على نحوٍ فريد، وإلى الأخطل الصغير شاعراً مكللاً بالشموس.

جارُ النجوم لكلِّ نجمٍ موئلُ ... منه عَلَوْا لله، أمْ هم نُزِّلوا!

عُمرَ الزمانِ رُباهُ واهبةُ السَّنا ... فلكلِّ نابغةٍ ذُراها محفِلُ

أنا لن أعدّد ألفُ صَعْبٍ عدُّهُمْ ... يكفيك منهم أن يكون الأخطَلُ

❖❖❖

لبنان عفوكَ كيف أبدأ قصتي ... ولك الفؤادُ، ومقلتاي المنزلُ!

للحبِّ، والحسن المُدلِّ، وأهلِه ... سوى جمالك فاطرٌ لا يغفلُ

عيناه ترعى من جمالِك سحرَه ... ويداه تبدع ما براه، وتصقلُ

حتى جلاكَ كما ارتضاكَ لحكمةٍ ... أوْحى إلى الأكوانِ: هذا الأجملُ

إن الألى بثراك كُحِّل طرفُهم ... هيهات إلا منه أن يتكحلوا

واللامحون رباك عمر هنيهةٍ ... عن حسنها هيهات أن يتحولوا

أغنتْ نوابغُك الزمانَ كأنما ... وحيُ البيانِ عليهمو يتنزّلُ

ماذا أقول وسحرُ كلِّ بلاغةٍ ... إن لم تكن بهواك فهي تقوُّلُ؟

---

* ألقيت في المهرجان الشعري الأول في طرابلس وفي قاعة اليونسكو يومي ١٤-١٦/١٠/١٩٩٨.

جارَ النجوم وكم لروحي سجدةٌ ... بريـاك خاشعةً بها تتبتّلُ!

قرأت بها آياتِ حسنِك فاهتدت ... لله... فهو المنعمُ المتفضلُ

كم جدّدتْني روحُها فحسبتَني ... روحاً بأجنحة الملائك تحملُ!

أتلو وأرقى ما تلوتُ، وإنه ... ليزيد حبُّ الله حين أرتّلُ

أوَلستَ في الدنيا كتابَ هدايةٍ ... هيهات يبقى إن قُرِئْتَ مُضلَّلُ!

ومن الثنايا لاح وجهُ بشارةٍ ... وجبينه بسنا الشموسِ مُكلّلُ

يلهو ويمرح في مدار ضيائها ... وكما يشاء بأفقها يتنقّلُ

فدنوتُ منه، فاستراب لرؤيتي ... فجفلتُ منه، وهو مني أجفلُ

فجمعتُ أشتاتي، وعدتُ فهاله ... ما كان مني، فانبرى يتأملُ

من قبل أن يرتدّ لي طرفي درى ... أن الذي حمّلتُه.. لمزلزلُ

اليأس من أحياء قومي هدّني ... إني إلى الأموات عنهم أميَلُ

عفواً بشارةُ لن تطول زيارتي ... في مثل لمحِ البرقِ عنك سأرحلُ

ستعيدني للهمِّ أرضٌ حبُّها ... دائي... ومنها البرءُ حين تُقبَّلُ

هي فتنتي، والبؤس فيها جنّتي ... فأنا بحمل شقائها متكفّلُ

لولا هوى قومي، وإخلاصي لهم ... ـ وأنا الغيورُ ـ لما سألتُ، وأسألُ

أوَما غدت مليونَ حزبٍ أمتي ... وعلى الهويّة كلُّ حزبٍ يُقتلُ!

أضعافُ ما قتل العدى من أمتي ... قُتلت بأيدينا، ولا نتململُ

ماذا جنى القتلى، ومن قَتلوا، أما ... غام الضحى، وتجهَّم المستقبلُ!
رحماك قل لي كيف لا أقضي أسى ... والمجتدون السلْمَ عُمْيٌ عُزَّلُ!
ليسوا سوى الكرسيِّ ناء بحملهِ ... فترنَّحت منهم، ومنه الأرجلُ
أو ليس أضعاف العدوِّ عديدُنا ... وكنوزُنا... فمتى متى نتعقّلُ!
يزداد غطرسةً، ونحمي أمنَهُ ... بحرابِ أهلينا، ولا من يخجلُ
ونروح بالإذلال نرجو عطفه ... وعليه فيما نابنا نتوكّلُ
في كل يومٍ فتكةٌ منه بنا ... والقدسُ والأقصى الحبيبُ يولولُ
أعدى أعادينا غدواً أحبابنا ... تُملي علينا ما تشاء... ونفعلُ
يتوغلون كما اشتهوا في أرضنا ... وبكلِّ كهفٍ للهوى نتوغَّلُ
المال للإعداد يُبذلُ عندهم ... وعلى المخازي مال قومي يُبذلُ
ولو أن جهد القتل فيما بيننا ... جَبَهَ العدى لرأيتَ كيف ترحلوا
ولو أن حقد القوم صار محبةً ... لرأيت أنا في الشعوب الأمثلُ
كلُّ الشعوبِ تموت دون حقوقها ... وبحقنا المغصوب لسنا نحفلُ
هل بعد هذا يا بشارة من أسىً ... إلا ادّعاء القوم: نحن الأكمَلُ؟!
واحسرة الأجيال إن نذكرْ غداً ... لأظنّها منّا غداً تتنصَّلُ
يا رب قد شقيت بنا أجيالُنا ... إني إليك لعزّهم أتوسّلُ
فامنن بجيلٍ يا إلهي مؤمنٍ ... يُعلي الجهاد، وفي الوغى لا يُخذلُ
فالكون أشقاه الطغاةُ بظلمهم ... هيهات إلا من هُدُوا أن يعدلوا!

❖❖❖

عفواً بشارةِ تلك بعض قضيتي ... عطفاً عليك فإنني لا أكملُ
أفديكَ فاعذرْ يا نجيَّ نَدِيِّنا ... إن لم تجدني هائماً أتغزّلُ
غمّستُ في أوجاع قلبي ريشتي ... فأنا صدى قلبي، ومنه أنقلُ
أنا عائد للأرض أمنحها دمي ... هيهات يُجدي في الجهاد تخيُّلُ!
حُقَّ الجهاد، وحُقَّ أن نمضي له ... ذلَّ الذين عن الجهاد تحوّلوا
إن لم نكن بالسيف نفرض سلمَنا ... فلَنحن ـ واذلاّه ـ نحن الأنذلُ

❖❖❖

عفواً بشارة أيُّ بشرى ما هفت ... لتمرَّ في شفتيك، وهي تدلّلُ
أنت الذي أبدعتَ ألف بشارةٍ ... للعاشقين، وكلُّ بشرى أجملُ
في كل بيتٍ قلتَ تسكن أمةٌ ... أمِنت... وروحُك ريُّها، والمأكلُ
أجرت على شفتيْكَ روعةَ سحرها ... لغةٌ بها وحيُ الإله مُنزَّلُ
أنفقتَ عمرك في اكتناه جمالها ... وبحبّها لله رحتَ تبتّلُ
فحباك مفتاحَ البلاغةِ ربُّها ... فملكتَ من أسرارها ما يُذهلُ
قارون يصبح ألفَ أغنى إن تكن ... تلك المفاتحُ بالذي لك تُبْدَلُ

❖❖❖

قلْ لي أميرَ المبدعين أما ترى ... كيف الفصاحةُ والبلاغةُ تذبلُ!
أيكون فرعٌ دون جذرٍ مثمراً ... مهما تنامى إنه مُستأصَلُ!

والشعر ملحمةُ الجهادِ تقطّعت ... أوصاله... فهو القعيد المعولُ
كسروا جناحيه فأهوى للثرى ... فالدود يفتك في حشاه، وينغَلُ
فمن المعيد إليه بعدك مجدَه ... أين ابنُ كندةَ، وابنُ أوسَ، وجِرولُ!

❖❖❖

لبنان عفوك إن أطلتُ فإن ما ... أشفقتُ منه أن يقال لأطولُ
لف الزمان الأمس في طياته ... وأتاك عهدٌ بالبشائر يرفلُ
عهدٌ نؤملّه ونرجوه معاً ... لعلاك يفعل... كلَّ ما هو يفعلُ
فالشام غائظة العدوّ كعهدها ... وأبو الجهاد جَنوبُك المستبسلُ
نصرٌ لكلِّ العالمين جهادُهم ... وهو الأعزُّ لأمتي والأنبلُ
لابد أن تلدَ الصباح جراحُنا ... ويزولَ ليلٌ عن حمانا أليلُ
وعتيَّة الإرهاب سوف تَدُعُّها ... رغم العُتُوِّ إلى الجحيم الأرجلُ

❖❖❖

لبنان عفوك هل لَدُنْكَ لظاميءٍ ... ريٌّ... فإنك للبلاغةِ منهلُ!
أطلقتَ في أفق الحقيقةِ مِقولي ... حسبي بأني للحقيقة مِقولُ!
أم اللغات، ووحيها، ورجالُها ... برباكَ حطّوا رحلَهم، وتقيّلوا
من كل فجٍ طائرين، وضُمّراً ... نادى بهم عبد العزيز فأقبلوا
سيظل حبُّ الضاد يجمع شملَنا ... أومَا بها جاء النبيُّ المرسلُ!
إن كان من رتبٍ لمن وفَّوْا لها ... فأبو سعود البابطين الأولُ